



الكتابة النسوية بعيون رجالية

د. جمال ذباح

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله- الجزائر

djamal.debbah@univ-alger2.dz

تاريخ النشر: 2021/06/18

تاريخ القبول: 2021/06/08

تاريخ الإيداع: 2021/06/03

الملخص باللغة العربية:

إن الكتابة النسوية كتابة متفرّدة لها خصوصياتها إنها تمتلك جرأة الذهاب إلى الأشياء والنفاز فيها بعمق وشفافية، لتحطم صنم التبعية التي كرستها ثقافة ذكورية مستبدة ومهيمنة لفكر المرأة وحضورها فكرا ولغة وإبداعا. سنُخلّص ونُلخّصُ بعث الآراء والانتقادات التي طالت مجمل نتاج المرأة من شعرونثروكيف نظر "أبناء آدم" لإبداعات "بنات حواء".

الكلمات المفتاحية: الأنثى ; النساء ; الكتابة; الرجال; موقف.

ABSTRACT :

THE WOMEN'S WRITING IS A UNIQUE WRITING THAT HAS ITS OWN CHARACTERISTICS THAT THEY HAVE THE COURAGE TO GO AND ACCESS THINGS IN DEPTH AND IN TRANSPARENCY TO DESTROY THE DEPENDENCY THAT A CULTURE ENSHRINED IN A MASCULINE CULTURE THAT IS USED AND HUMILIATING TO WOMEN'S THOUGHT AND PRESENCE THOUGHT LANGUAGE AND CREATIVITY. WE WILL CONCLUDE AND SUMMARIZE THE RISE OF OPINIONS AND CRITICISMS THAT REACHED THE TOTAL RESULT OF WOMEN FROM POETRY AND PROSE AND HOW ADAMS SONS LOOKED AT THE CREATIONS OF EVS GIRLS

Keywords: Female ; Women ; Male ; Writing ; Attitude

نص البحث:

(لولا أن الأعشى أنشد قبلك، لفضّلتك على شعراء هذه السنة)، بهذه العبارة التي سجلتها كتب التراث والتي تُلخّص ما كانت عليه العقلية العربية قبل الإسلام، فالمرأة كانت مكانتها محفوظة، واليوم ما حققته المرأة من إنجاز ناجح في دخولها المدارس، وتفوقها في الميدان الدراسي والعملي لتكتسب بذلك ثقافة واسعة وتتعرف على أهم ما تنطوي عليه من مواهب وخصوصيات مكنتها من الكتابة والدخول في مجال الإبداع، ولأنّ الكتابة هي الوثيقة الأساس لإثبات الوجود أضافت المرأة نصوصا شعرية وروائية وقصصية ومسرحية، أثرت



الساحة الأدبية، فأصبحنا نسمع عن الكاتبات اللواتي غزون الملتقيات والندوات والمعارض ساعية من خلال الكتابة إلى حلّ مشكلاتها مع الرجل، وتفجير مكبوتاتها كحلّ لتحقيق انتصاراتها، وتفريغ دواخلها نحو العالم الخارجي بالقلم والحبر وبذلك تصبح هي الأقدر على حمل لواء تحرير المرأة من الخضوع للسلطة الذكورية المتوارثة عبر الأجيال وتتنوع مظاهر الهيمنة الذكورية في إطار التمييز الاجتماعي بين الأجناس من خلال الأجساد، فتتعدى العلاقات الجنسية إلى مظاهر الحياة العامة، حيث أعطى النظام الاجتماعي للرجل مكانة خاصة مقابل المرأة وهذا جلي إذا ما أسقطناه على واقعنا المعيش فالهيمنة أمر مسلم به و موجود في شتى مناحي الحياة وتكرسه المؤسسة الاجتماعية، وأكثر ما نلاحظ ذلك في النتاجات الأدبية العالمية التي كانت حتى وقت قريب تتمحور حول اجترافات البطل الذكوري.

في المقابل كان دور الأنثى ثانويا باهتا تابعا وهامشيا، إنها مجرد إكسسوار مكمل لصورة الذكر أو سببا في تعاسته ومعيقه لأماله، إنها باختصار خالية من نماذج نسوية واقعية حقيقية ومستقلة ذاتيا لأنها انحصرت في أحد شكلين، أما الشكل المقدس غير المندس أو الآخر الشبق الشيطاني، وعليه فإن معايير ومبادئ علم التذوق الجمالي والفني المطبقة في تقييم الأعمال الأدبية حتى الآن - رغم الادعاءات المزورة بالتزام مقولاتها للحيادية والموضوعية - مليئة بالأوهام الذكورية، ومنحازة بشكل سافر للمصالح والمنطق الرجالي، حيث غدت السيطرة فعلا فطريا عند الذكر. وأزاح المجتمع الذكوري الصورة المشوهة حول السيطرة "المتسلط هو رمز الخطر والبطش والسوء"¹ ومنح لها صورة مغايرة تسمو إلى الأفضلية ودون ذلك تعتبر الشخصية المُسيّطَر عليها أقل شأنًا وذكاءً من الشخصية المسيطرة، حيث تتجلى لنا صورة الذكر في المجتمع كونه معيارا للنظام أي أنّه المحرك والمسير في عرض وتقديم وتطوير أنظمة المجتمع واستقرارها بشكل سليم، واستحوذه على هذه الصفة المتميزة يكشف عن تصوره للمرأة بأنها "غير قادرة على اتخاذ القرارات، ساذجة، تعتمد على الحُدس، فيها حنان وحياء، وهي تحتاج للخضوع للرجل وتوجيهه وتحكمه فيها"²، رغم كثرة الدعاوي الشائعة والمفاهيم الحديثة المتداولة حول المساواة، والتي لم تغيّر من وضعها "فالمرأة حين تتساوى فإنها تتساوى بالرجل، وحين يسمح لها بالمشاركة فإنّها تشارك الرجل، وفي كل الأحوال يصبح الرجل مركز الحركة وبؤرة الفاعلية"³.

ونجد كاتبا كبيرا كعبد الله محمد الغدامي يفتح كتابه "المرأة واللغة" بمقولة عبد الحميد الكاتب، الأستاذ الأول للكتابة الفنية عند العرب بأن "خير الكلام ما كان لفظه فحلاً ومعناه بكرًا" وهي العبارة التي تدل على القسمة الثقافية في اللغة بين الرجل الذي احتفظ بقوة اللفظ وبين المرأة التي حصر وجودها في



المعنى، وهو القسم الخاضع والموجه من قبل اللفظ، ولا يمكن في أي حال أن يكون المعنى كائن قائم بذاته دون اللفظ. ومن الرجال من يعتقد أن كتابات المرأة لم ترتقي إلى النضوج بعد، بسبب عدم تمكنها من مواجهة الحياة مثل الرجل، فالمرأة تبقى ضعيفة في حياتها ويبقى الرجل يحميها، وذلك هو السبب لعدم قدرة المرأة على مواجهة الكتابة الذكورية، والفرق الجوهرى يكمن بهذا التواصل مع الذات فالثقافة الرجالية في أي مكان تُجبره نحو التواصل مع العالم الواقعي من حوله، ولا تشجعه على التواصل مع ذاته، بينما المرأة ومن صغرها نمت مع شخصيتها مفاهيم للتواصل العاطفي مع ذاتها وهو ما يخلق الفجوة بين الجنسين، فالرجل يراها غارقة في عالمها الشعوري والحميمي، بينما ترتبط أفكاره بالعالم الفعلي الموجود من حوله ولا تُشكل العاطفة سوى جزء من حياته يمكنه احتواؤه أو تجاهله، فالمرأة المبدعة تصغي إلى جسدها، ومن خلاله تُبحر في عوالم الذات، ومن هنا تتداخل المعاني والشفرات المكونة للنص النسائي لتعبر من الجسد إلى الذات ومن الذات إلى العالم الخارجي، ذلك أن الجسد يعد تمثيلاً حياً للنص "فالجسد هو سبيل الكتابة عند المرأة ونارها التي لا تنضب، ومعجزتها التي لم تكتمل، فمن الجسد تبض المرأة على شيطان لغتها، ومن معجمه تزين السرد ببروقه، ورعوده، وتركب على أحصنة اللغة، وتقتلع الحرائق وتبارك حق الجحيم"⁴ فالجسد الأنثوي يعد قيمة ثقافية وجمالية كبرى وهو جزء منها ولا يتميز عنها في شيء، غير أن الآخر الذكر لم يعرف في هذا الجسد إلا وظيفته الجنسية ونادراً ما اعترف به ككيان له استقلاله الذاتي، وبذلك كانت الكتابة والإبداع أبعد ما تكون عن صاحبة الجسد وأسد القلم للذكورية فقد تم "تعريف القلم، ليس بالشكل عرضي، بل بشكل جوهري بأنه أداة ذكرية"⁵.

وهذا جايمس فنتن في كتابه قوّة الشعر يقرر "أنّ هناك قدراً من الذكورية في النموذج الأعلى للشاعر، وهو ما يصعب على المرأة الانسجام معه" من أجل ذلك بدأ النقاد بوضع معايير في تحكيم نتاج المرأة، مختلفة عن تلك التي يحكمون بها نتاج الرجل، لذا كان على الأدبية أن لا تمس المحرمات، وأن تظل تدور في الخيال السطحي، وأن تكتب للجمهور ما يريده من المرأة من تسلية: قصص الحب، والمغامرات، والروايات الأخلاقية، وهذا هو المطلوب من المرأة إن هي أرادت أن تقتحم عالم الكتابة، فلا تخرج عن الدور المنوط بها والشرط الأهم أن تظل تمارس الكتابة هاوية، غير ممتنة لها. وهذا تأكيد بأن كتابة المرأة ماهي إلا وسيلة للتحرر، والخروج من القفص الذي سُجنت فيه من قبل الثقافة الذكورية المتسلطة، هناك من الكاتبات من تحذر بنات جنسها من الوقوع في أثناء إثبات تمكنها من فعل الكتابة أمام الرجل فتتحرف "عن صعيدها الاجتماعي لتستوي على صعيد الجنس، فتصبح المساواة بالرجل هي الغاية التي تهدف إليها المرأة"⁶ وهي تفترض أنها شيء في عالم يصنعه الرجل ويفرض من خلاله أيديولوجيته، التي تصنع أسطورة الرجل، وهذا



ما يفسر الصعوبات والمشاق المضاعفة التي تعترض سبيل الكاتبة التي ترفض الوقوع في شرك الصورة النمطية المرسومة لها من قبل المجتمع الذكوري، ذلك المجتمع المحكوم بأعراف وتقاليد متصلبة ونظم سياسية واجتماعية متخلفة تحركها نزعات تسلطية ذات جذور قبلية سلفية أو حتى عصرية استهلاكية، الذي يتوقع منها الامتثال لدوار وقوالب وجدت نفسها سجيناً فيها بحكم انتمائها البيولوجي في هذا الصدد طرحت سيمون دي بوفوار بوضوح العديد من الأسئلة الأساسية في كتابها "الجنس الثاني" حيث ترى أن المرأة تبدأ بالقول: "أنا امرأة عندما تحاول تعريف نفسها، وليس هناك رجل يفعل ذلك، هذه الحقيقة تكشف اللاتماثل الأساسي بين مصطلح مذكر ومؤنث والتضاد بينهما يرجع إلى العهد القديم، ولم يكن للمرأة تاريخ منفصل، ولا تضامن طبيعي وظلت المرأة مستمرة في علاقة غير متكافئة مع الرجل، فهو الواحد وهو الآخر".⁷

والمرأة تطرق مواضيع مستعصية على الرجال لاختلاف آليات التمييز بين هذه القضايا كقضية الدم والعذرية والتحرش وغيرها وفي محاولة لمعرفة الآراء حول الأدب النسوي من منطلق مقال تم نشره للشاعر والنقاد الفلسطيني فراس حج محمد بعنوان (كيف تصبح الشاعرة شاعراً كبيراً) واستعراض لبعض الانتقادات التي وجهت للأدب النسوي والمرأة الكاتبة والتي من أهمها: أن شعر المرأة ينقصه التجربة، وأنه يتمركز في الأغلب حول الرجل، فلا يُعد أكثر من مجرد نواح عاطفي، أن الشعر النسوي متأخر عن الشعر الذكوري، وليس هناك بصمة واضحة له تؤدي إلى الاعتراف بكتابتها. حتى هي من جانبها شعرت بالنقص في إبداعها وابتكارها أمامه، ووجدت نفسها محاصرة في قيَمها وفي حريتها وفي إبداعها وحتى في وجودها وكأنها لا شيء فلجأت للكتابة عن نفسها بحثاً عن الحرية والمساواة "فالكتابة ليست فقط اللعبة والمتعة، ولكنها كذلك اللغة التي من خلالها تعطي المرأة لكتاباتها معنى اختيار الحرية وتحمل قهر السلطتين السلطة الشهيادية الذكورية التي لا ترى في المرأة سوى انعكاسات باهتة لعجزها، وسلطة دنيا زادت المنضبطة التي ترقب بود وإخلاص وصرامة الزلل والخطأ، لتنشئ حوله كيانا نقدياً".⁸

وتشير الروائية (زينب حفني) إلى في إحدى رواياتها على لسان بطلتها التي مارس عليها أحد المشاهير في عالم الرواية سطوته لأجل أن ترتاد عالم الكتابة مثله وهي إيديولوجية من الرواية في احتكار الرجل والريادة في عالم الكتابة "اكتفت بالنظر صوبه باحتقار، ملأها شعور بالخيبة منه، مدت يدها بلا تفكير، أمسكت كتابه الذي أهدها إليها، سقطت عيناها على عنوان الكتاب (الطريق إلى الحرية)، أطلقت زفرة عميقة، ناولته إياه قائلة بحزم آسفة لا أريد ممارسة هذا الجنون"⁹ وقد ذكر المختصون أن من أسباب ارتياد المرأة عالم الكتابة حيث يهيمن الرجال على مؤسساتها وتنطفي مشاركتهم على الحياة الثقافية، زيادة نسبة التمدرس



للفتيات مقارنة بالماضي، فبعد أن بلغت في جلّ المجتمعات العربيّة النصف انتقلت الآن خصوصاً في الجامعات إلى مرحلة يتجاوز فيها عدد الطالبات عدد الطلبة الذكور. وهو مؤشّر مهمّ يبرز بداية انتقال حقيقيّ يشمل مكانة المرأة ومشاركتها في مختلف مناخي الحياة. وعلاوة على هذا الجانب الكميّ فإنّ علامات تميّز الطالبات وتفوّقهن في مجالات كثيرة لا تخفى على الناظرين. غير أنها لا تزال ترى نفسها شيئاً في عالم يصنعه الرجل، ويفرض من خلاله أيديولوجيته التي تصنع أسطورة المذكر.

وحينما تبدأ المرأة في تكسير الحواجز واختراق النظم الاجتماعية السائدة عن طريق الكتابة يحرم عليها ذلك خاصة في بعض القضايا الخاصة، والتي تواجه الرجل بمشكلاته التي حملها إياها، لتنتقل كمبدعة تنفتح أمامها الأبواب في إطار نص أنثوي مخالف للنص الذكوري. وأول ما يقابلها به الرجل اعتبارها كسلعة يمارس عليها منطق العرض والطلب وفق عقلية المستهلك، "وتنعكس هذه الصورة السلعية للمرأة حين تختفي الذات وتذوب في الرجل وهذا الشأن يتفق مع ما ذكره كانط: إن الشخص إذا أصبح موضوع استهزاء شخص آخر، فإنه يتحول إلى شيء، ويمكن أن يعامله كل فرد ويستخدمه بهذه الصفة"¹⁰.

ولقد عثرت على رأي مدير عام المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر (السيد ماهر الكيالي) الذي لاحظ أن عدد الروايات بصورة عامة أقل بكثير من عدد الروائيين. وهذا ينطبق على العديد من البلدان العربيّة. فالمجتمعات العربيّة مجتمعات محافظة وهذا ينعكس على النتاج الأدبي عموماً يقول، ويؤكد أن الرواية النسوية غير متمكنة جمالياً كما أن منافستها للرواية الذكورية محدودة، مضيفاً أن هناك اختراقات نسائية سواء من حيث المضمون أو الشكل وتحاول الروايات في الكثير من الأحيان تطوير أدواتهن وأسلوبهن أو التطرق إلى مواضيع جديدة في كتابتهن الروائية. وهناك من النقد من حصر المرأة الكاتبة في جزيرة الجسد لا تستطيع الخروج منها إلا لتعود إليها ويفيد الناقد مفيد نجم، في مقدمة مقالته النقدية إلى أن: "انشغال الرواية النسوية المكثف والعميق بموضوع الجسد... قد اختزل المرأة في صورة أحادية هي صورة الجسد الأنثوي في مواجهة الجسد الذكوري، الأمر الذي يجعل هذا السرد النسوي يختزل وجود المرأة في جسدها.. ويعيدنا مرة أخرى إلى تلك الثنائية المتقابلة التي رسمتها الثقافة الذكورية للعلاقة بين الرجل والمرأة، ولذلك فإن الاستغراق في عالم الجسد بعيداً عن ارتباطه الوثيق والحي بقضايا المرأة والواقع على مختلف الصعد الاجتماعية والوجودية والثقافية، يجعل وعي المرأة بجسدها ناقصاً، ويختزلها فيما حاولت التحرر منه"¹¹.

غير أن حضور الجسد في النص النسائي ليس من باب مقتضى الضرورة فالكاتبة قد تكتفي بالإشارة إلى ما تريد أن يصل إليه خيال المتلقي دون الدخول في باب المسكوت عنه أو وصف الجسد أو التطرق إلى تابو



الجنس في نصوصها، غير أنه وفي الفترة الأخيرة صار الجسد حاضر في نصوص المبدعات وكأنه لا يكتمل النص إلا بالتطرق إلى الجانب المسكوت عنه، وفي بعض النصوص ذلك الحضور الطاغي (للجسد) لا يخدم النص كونه يجعل المرأة في هيئة ضعيفة واقعة تحت سيطرة من لا يرحم في مجتمع ذكوري لا ينظر إليها إلا من أجل إشباع رغباته، كما يصف البعض كتابات المرأة بأنها هشة وعائمة وساذجة، تناولت فيه ذاتها في ظل حدود رومانسية وعاطفية بوصفها كائنا مغلوبا على أمرها، مقهورة، مهمشة، ومقصية، تميزت بالخضوع والخنوع، والتضحية بدون مبرر والصمت والتبعية وبهذا برز تفوق الذكر عليها. فالمرأة في نظر البعض غير قادرة على الكتابة بلغة خاصة بها فهي إذن لا تقدر على الكتابة أو الإبداع، هي تضع وتلد فقط، أما فعل الإبداع والكتابة فهو المجال الخصوصي للرجل لأن التاريخ يعلمه أن المرأة برهنت على عدم إمكانية الإبداع والتحديد والاكتشاف، وهذا واقع حضاري قائم في عرفه. ولعلنا لا نجانب الصواب إن قلنا هناك من الشعراء وأصاب الحداثة من ينادون بتحرير الإبداع الأنثوي من السلطة البطيركية في العلن ولكن من وراء الجدر أحداث أفكار أخرى.

ومثال ذلك تجربة الشاعرين محمد الماغوط وعلي أحمد سعيد (أدونيس) ثمة مفارقات ومصادفات عديدة. وأول هذه المفارقات أن الشاعرين ينتميان إلى تيار الحداثة الشعرية (قصيدة النثر) ويعدان من المؤسسين لها منذ نهايات خمسينات القرن الماضي، بينما هما على صعيد العلاقة مع المرأة/الزوجة الكاتبة والشاعرة تركا شاعرة وناقدة مهمتين تعيشان في ظلال شهرتهما الكثيفة، دون أن تحظيا بما تستحقانه من شهرة وحضور في الحياة الثقافية العربية. والغريب أن الشاعر أدونيس صاحب الحداثة الفكرية والمنظر لها هو من يمارس هذا الدور المناقض لأطروحاته بسبب التضخم الذي تعاني منه أنا الشاعر. لذلك فإن المرأة العربية عندما تكتب إنما تجد نفسها في دائرة وضعت فيها غصبا تحاول أن تضيق الخناق حولها لأن التاريخ الذكوري العربي طالما حاول أن يقنعه بعدم قدرتها على الابتكار، وفعل الكتابة ابتكار لا يتقنه غير الرجل، من هنا تبدأ المرأة العربية بالابتعاد عن مجال الإبداع والكتابة لأنها تشعر بخوف لا مثيل له من هذا العالم السحري المرتب من طرف الرجل، فهو يرى كتابة المرأة ولغتها لغة المشاعر لغة لا قدرة لها على التحليل المنطقي للأشياء، لغة لا قدرة لها على الخوض في أعماق الأمور، لغة نسائية وردية لا ترتقي لتحاليل عقلية ونظرة عميقة، فالأمر يتعلق بصراع قوى وبمسألة حرية، فالرغبة في اكتساح حرية كلية تستدعي إلغاء حرية الآخرين على اعتبار أن الآخرين يشكلون عوائق تصطدم بها هذه الرغبة في الحرية الكلية، وحين تفرض كتابات المرأة العربية ذاتها داخل التنسيق الذكوري ولو باعتبارها هامشاً ينعتها الرجل بأنها ليست امرأة ولا تستجيب لخصائص الأنوثة الضرورية للمرأة، فهي تفتقد إلى الماهية والعناصر المؤسسة لجوهرها فهي كائن لا



ملاحظ له لأنها فقط، صورة المرأة. ففي الوقت الذي كان فيه الرجل يضع أسس اللغة كانت المرأة رهينة سجن "المنزل والصمت" الذي حرّمها من خصوصية التأنيث في مواضع كثيرة وإن حاولت تأنيثها اعتبر ذلك من غير الفصيح وأعطاه دلالات مستهجنة.

وهكذا فإلغاء دور المرأة في اللغة بدأ بجعل الضمير اللغوي مذكرا. ولذلك فإن المرأة حين تكتب تجد نفسها تلقائيا تستعمل هذا الضمير المذكر، فلقد جعل الرجل من اللفظ فحلا وجعل من المرأة معنى.. يعبر هو عنه كما يشاء.. فجاء الزمن مكتوبا ومسجلا بالقلم المذكر واللفظ الفحل، ويرى البعض الآخر مثل نور الدين أفاية أنّ كتابة المرأة مختلفة عن كتابة الرجل اختلافا تاما، ويُرجع السبب لاختلاف جسدها عن جسد الرجل، فالمرأة أكثر عاطفية من الرجل فتكتب بعاطفتها أما الرجل فيكتب بعقله، والرجل يتميز بالاتزان أما المرأة فهي متوترة ويظهر ذلك في كتاباتها، يقول: "تصوغ المرأة كتابتها بشكل مختلف تماما عن أشكال كتابة الرجل، سواء تعلق الأمر بالكتابة المخطوطة أو أشكال الكتابات التي تتوقف المرأة عن ممارستها في علاقتها بجسدها، فالمرأة باعتبارها كائنا مختلفا في تكوينه وجسده عن الرجل تعمل على الدوام لإظهار جسدها بشكل مغاير"¹².

وفي رأي آخر حول إبداع المرأة والنقد من ضمنه يتساءل الناقد نزيه أبو نضال متى تكف الناقدة النسوية عن الاتكاء على التراث النقدي الذكوري العام والشائع، مؤكدا أن عليها أن تبحث عن خصوصيات نقدية في كهفها الخاص بها، وليس في كهف الضبع الذكر. وقال إن النقد النسوي يشغل على اتجاهين أحدهما يذهب إلى كتابة الرجل لتبيان حجم ما تحتويه من اضطهاد ذكوري للمرأة، والاتجاه الآخر يذهب إلى إزالة الغموض والسحر عن جسد المرأة وصورها النمطية في الثقافة والمجتمع وأشكال تمثيلها في الأدب والفن سواء فيما تكتبه هي أو الرجل وهذا ما تؤكد أنه أمل تميحي تحت عنوان 'القراءة الإيديولوجية لأدب المرأة'، ظاهرة التصنيف النوعي للأدب: ذكوري ونسائي، وقد ظهرت في العصر الحديث، وما استتبع ذلك من إشكاليات لهذا التقييم من رفض وقبول، لهذا المصطلح من ناحية، و تحيز بعض النقاد واهتماماتهم وخصوصا الطرف النسائي وكذلك هناك فئة من النقاد لم يكتسب الأدب النسائي مشروعيته النقدية لديهم، باعتبار المضمون، وإنما باعتباره ممثلا لأدب تختص به المرأة، وقد ترتب على هذه النظرة التصنيفية والمتحيزة ذات الطابع الإيديولوجي، أن أصبحت فرص الاهتمام النقدي بكتابات المرأة ضئيلة جدا، بحجة أن أدب المرأة لا يعكس سوى المشكلات الخاصة بالمرأة"¹³.

وبمعنى آخر أنه أدب يفتقر إلى النفس الطويل، و القدرة الفنية على الإحاطة بقضايا العالم الواسع. فهو أدب محدود وقاصر على الهواجس النفسية، وتصعيد نبذة الاحتجاج على القهر وسلب الحقوق الأمر الذي



جعل معظم النقاد في عزوف عن الالتفات إليه، بسبب أنه يفتقر إلى النضوج، بينما لم يتح للمرأة المجال الإبداعي لممارسة وعيها الخاص، وقيمه الإنسانية الثقافية الذاتية بطريقة مستقلة متحررة، كما أتيح المجال للرجل، فكان أن أبدعت المرأة إبداعا محدودا، تنفست فيه لغة الإبداع الذكوري وقيمه الأبوية، وخاصة في فضاء المراثي التي جعلت المرأة تواجه الشعر العربي، بل ما أن كتبت في النهضة الحديثة، حتى غدت كتابتها نواح وجدانية متأزمة ذاتيا على الورق¹⁴.

وهذا الرأي راجع في الأصل إلى الناقد الثقافي عبد الله الغدامي والذي يعتبر اللغة للرجل بصفته ظاهرة متجلية، والمعنى ألحقه بالمرأة بصفته خفي ولا وجود له حيث يقول ك "وبما أنّ المرأة معنى والرجل لفظ فهذا يقتضي أن تكون اللغة للرجل وليست للمرأة فالمرأة موضوع لغوي، وليست ذاتا لغوية هذا هو المؤدّي الثقافي التاريخي العالمي عن المرأة وفي كل ثقافات العالم تظهر المرأة على أنها مجرد معنى من معاني اللغة نجدها في الأمثال والحكايات وفي المجازات والكتابات"¹⁵ وفي كتابه ثقافة الوهم يتحدث الغدامي في قسمه الأول عن الصوت الأنثوي "نازك الملائكة" وعدّها أول امرأة حطّمت أهم رموز الفحولة وأبرز علامات الذكورة وهو عمود الشعر، باعتبار هذا الأخير شيطانا ذكرا ذلك أنّ الشعر العمودي همّش المرأة وسار بقدم واحدة وهي القدم الذكورية لذلك تسلحت نازك بالشجاعة لتحطيمه على رأي الغدامي.

وهناك من يوازن بين ما تكتبه المرأة وما يكتبه الرجل ولا يقيم اعتبارا لجنس الكاتب فما يهمه الإبداع أيا كان مصدره ومن أمثال هؤلاء الناقد والشاعر اليمني "عبد العزيز المقالح" سأظل متمسكا برأيي السابق، وهو الذي لا يفرق بين إبداع امرأة وإبداع رجل بوصفه-أي الإبداع- تعبيراً عن مشاعر الأنوثة والذكورة. لا سيما المرأة والرجل -كلاهما يعانيان- في الوطن العربي من قهر مشترك ومن عبودية وحرمان لا مثيل له. ومن المؤكد-بالنسبة لي على الأقل-إن حلقات النقاش الصاخب التي تقوم بين حين وآخر حول ما يسمى بالأدب النسوي إنما يعمل على وضع أساس لاختلاف جديد بين المرأة والرجل بعد أن اختفت أو كاد شبح الاختلاف القديم ونجح الاثنان على حد ما في ان يعيشا في تآلف وانسجام فالحياة بحاجة إليهما الاثنين"¹⁶.

لكن أغلب النقاد مازالوا يرون بالنظرة القديمة للمرأة بعيون المجتمع وفي هذا الصدد يقول الكاتب المسرحي والشاعر اليمني محمد شرفي: "المبدعة العربية أنى كانت فإنها مثقلة بقيود القهر الاجتماعي وهي حين تريد أن تسطر بوحها إبداعا فإنها تجد ذاتها محرجة إزاء واقعها من أن تقول شيئا عن عواطفها الحقيقية، لذلك فهي بوعي منها تحاول أن تغلف إحساساتها تلك بكلمات شعرية غير مفيدة للغاية أو لقضيتها الأساسية إرضاء للمجتمع الشرقي إذ إنها لا تريد أن تسقط في دائرة المرأة المتحررة والمناضلة ضد



التقاليد المتعفنة داخل دهاليز العقول المنطفئة¹⁷ فهي من منطلق الناقد هذا لا تستطيع أن تبوح بمشاعرها مباشرة وأن تصرح بها بل تُخرجها علامات ورموز كما أنه يرمي هذه الكتابات النسوية بالانكفاء على الذات الأنثوية وهمومها ، وبالتالي هو أدب يعيش عقدة النقص لأن مواضيعه عاجزة عن تكون خصوصية إبتكارية للكتابات النسائية. ومن جانب آخر يقر محمد برادة بخصوصية كتابة المرأة خاصة لغتها التي تحمل ملامح خاصة فوحدها المرأة تستطيع أن تكتب عن المرأة إذ يرى أن " اللغة النسائية كمستوى من بين عدة مستويات، هذا الطرح يجب أن تربطه بالنص الأدبي، والنص بطبيعته متعدد المكونات، رغم الوسط هناك تعدد... هناك كلام مرتبط بالتلفظ بالذات المتلفظة.. فأنا من هذه الزاوية لا أستطيع أن أكتب بدل المرأة، لا أستطيع أن أكتب عن أشياء لا أعيشها"¹⁸.

فهذا الإنصاف في العقلية الذكورية نادر مصادفته في الذهنيات الرجولية ولعلي استحضّر مثال الشاعرة ولادة بنت المستكفي التي كانت على كل لسان في قرطبة فاستكثر الرجل عليها هذا الإنجاز الإبداعي فنسبوها إلى ابن زيدون. ونقديا، فإن المنظومة الثقافية الإبداعية العربية ما زالت متمسكة بنظرتها الفحولية ذات الاعتداد والجبروت، وهي ما فتئت تتحايّل على مواكبة التطور العالمي فلسفيا ونقديا، لا سيما في ما يخص المرأة وخطابها الإبداعي المتوزع بين حقول الإبداع على اختلافها من شعر ورواية وقصة قصيرة ومسرحية، ومن دون أن تكون هذه الفحولية آبهة بحتمية إعادة الاعتبار للنسق النسوي، واقتراحه معبرا لكتابة نسائية باتجاه التدليل على وعي المرأة ووعي الآخر بها، وبما يليب الاستجابة الحتمية باتجاه طرح أسئلة الوجود والكينونة فالأنوثة مقصاة عبر التاريخ الأدبي العربي. والمرأة التي ترتاد هذه المغامرة المحفوفة بالمخاطر، والأسئلة القلقة والمُقلقة وعقبات الطريق، امرأة جديرة بالتقدير والاحترام. ومن النقد من يترفق بالقوارير، فيداهنون ويجاملون أو يراوغون خوفا من تهمة الإرهاب النسوي، فإذا ما تشدّد الرجل في نقدها سيئهم بمعاداتها ويوصف بالرجعية.

ونختم بهذه العبارات لابن عربي من كتابه ترجمان الأشواق الذي اعتبر فيه أنّ حنين الرجل إلى المرأة حنين الشيء إلى نفسه، فإنّ حواء خلقت واشتقت من آدم، بينما اعتبر حنين المرأة إلى الرجل حنين الشيء إلى وطنه، فالمرأة خلقت منفصلة عن الرجل ليحنّ إليها حنين من ظهرت سيادته بها، فهو يحبها محبة من أعطاه درجة السيادة، وهي تحن إليه حنين الجزء إلى الكلّ، وهو حنين الوطن، لأنه وطنها ولنتأمل هذين البيتين:

إنّ الأنوثة عارضٌ متحقّقٌ مثل الذكورة لا تكن مترددا



الحدّ يجمعنا إذا أنصفتني هُنَّ الشقائق لا تُجب من فندا

ولعمري هذا الذي يكتب بماء الذهب قبل هذه المدنية الزائفة...

هوامش البحث:

- ¹ -فرانسواز اريتييه..ذكورة وأنوثة فكرة الاختلاف' ترجمة: كاميليا صبيحي' مصر' الهيئة العامة المصرية للكتاب. 2003 ص 189.
- ² - مصدر نفسه ص 177.
- ³ - نصر حامد أبو زيد:..دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، ط1، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي. 2017 ص 29.
- ⁴ - الأخضر السايح: الرواية النسائية المغاربية والكتابة بشروط الجسد. مجلة الخطاب مخبر تحليل الخطاب جامعة مولود معمري تيزي وزو العدد 4. 111/71
- ⁵ - ماري إيجلتون : نظرية الأدب النسوي، ترجمة : رنا بشور، ط1، دار الحوار، اللاذقية، سوريا 2016، ص 144.
- ⁶ - رشيدة بنمسعود: المرأة والكتابة سؤال الخصوصية والاختلاف ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص 77.
- ⁷ - رمان سيلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: سعد الغانمي، ط1، دار الفارس للنشر، بيروت، 1999 ص 235.
- واسيني الأعرج: الأدب النسائي (ارتباكات المصطلح وأشواق العنف المبطن)مجلة روافد عدد خاص بالمرأة والإبداع، عدد1، منشورات مارينو.
- ⁸
- ⁹ - زينب حفي: نساء عند خط الاستواء، د.ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2006، ص 23.
- ¹⁰ - سيد محمد السيد قطب: في أدب المرأة، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، 2000، ص 106.
- ¹¹ - مفيد نجم: الجسد في السرد النسوي (استعادة القيمة الغائبة- علوية صبيحي نموذجاً)-مجلة نزوى، العدد 72، ص 86/79، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان. الأردن.
- ¹² - محمد نور الدين أفاية: الهوية والاختلاف في المرأة (الكتابة والهامش) د.ط، إفريقيا الشرق، 1988، ص 41.
- تميمي أمل: السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص 94.
- ¹³
- ¹⁴ - حسين مناصرة: المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية الفلسطينية، د.ط، مطبعة سيكو، بيروت، لبنان، 2002، ص 232.
- حسين السماهيجي: عبد الله الغدامي والممارسة النقدية والثقافية- دراسات ونقد، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2003، ص 78.
- ¹⁵
- وجدان الصائع: شهرزاد وغواية السرد(قراءة في القصة والرواية الأنثوية)، ط1، الدار العربية للعلوم، لبنان، 2008، ص 224.
- ¹⁶
- ¹⁷ - المصدر نفسه ، ص 227.
- ¹⁸ - محمد برادة: هل هناك لغة نسائية مجلة آفاق العدد 12، المغرب، 1983، ص 135.